إيفاء الغرض

بتوجيه قول الشيخ زيد من يحذر من كتب الشيخ ربيع ففي قلبه مرض

كتبه

أبو عبد الله

وائل بن علي بن أحمد الأثري

إيفاء الغرض

بتوجيه قول الشيخ زيد من يحذر من كتب الشيخ ربيع ففي قلبه مرض

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فقد ذكرت في بعض مقالاتي أن الشيخ ربيعاً قد اضطربت أقواله في مسألة الإيمان فمرة يخطئ الشيخ الألباني في قوله إن الأعمال شرط كمال في الإيمان ، فيقول (ما نقدر أن نقول إنه مرجئ بهذا الكلام ، هذا الكلام يُؤخذ على الشيخ ولا نقبله نقول : إن العمل جزء من الإيمان لا شرطاً فيه ، وهذا قاله الحافظ ابن حجر وقاله غيره وأرجو أن يراجع الشيخ في هذا ويبين له)اهـ ومرة يرى أن هذا لا شيء فيه فيكتب مقالاً [هل يجوز أن يُرمَى بالإرجاء من يقول :" إنَّ الإيمانَ أصلٌ والعملَ كمالٌ (فرعٌ)] ذهب فيه إلى أن قائل ذلك ليس مرجئاً ! ومرة يقول بكفر تارك العمل لما قرأ رسالة حمد العتيق التي فيها إثبات العمل على طريقة شبابة بن سوار .

ومرة يرى أن المسألة فيها قولان للسلف منهم من يكفر تارك العمل ومنهم من لا يكفر ! وقد بينت أننا لسنا أول من تكلم في الشيخين وخطَّئهما وبيَّن أنهما خالفا السلف في ذلك ؛ بل سبقنا إلى تخطئتهما باسمهما أو بالحكم على كلامهما فحول العلماء الكبار كالشيخ الغديان والنجمي والفوزان واللحيدان، والراجحي وعبد العزيز آل الشيخ والسحيمي والجابري وغيرهم ؛ لكن المصيبة أن هؤلاء لا يقرؤون وإذا قرأوا فإنهم لا يفقهون .

فاعترض علي بعض الجهال بفتوى لشيخنا العلامة زيد المدخلي – حفظه الله – وهذا نصها :

(السائل : أحسن الله إليكم ؛ سائل يقول بعض الدعاة يقول بأنه لا ينصح طلاب العلم بقراءة كتب الشيخ ربيع لأن فيها شدة فهل قوله هذا صحيح أفيدونا جزاكم الله خيراً ؟

جواب الشيخ : كتب الشيخ ربيع كتب سنة وكتب تصحيح الاعتقاد ومحاربة البدع ودعوة الناس إلى السلوك الحسن وإلى تصحيح عقائد ؛ عقيدتهم ومنهجهم ، وهذا هو المعروف عن كتب الشيخ ربيع فالذي يحذر من كتبه في قلبه مرض ، مرض البدعة والشبهات ، فعليه أن يرجع عليه أن يرجع عن هذا العمل الذي هو سبب للعقوبة والعياذ بالله .)اهـ

وجواباً عليه أقول : إن استدلالك بقول الشيخ زيد المدخلي – حفظه الله – أن الذي يحذر من كتب الشيخ ربيع ففي قلبه مرض ؛ لمصادمة ما كتبته في مقالي له عدة توجيهات :

١ - أن الذي يحذر من كتب الشيخ ربيع بغير دليل على خطأ ما فيها ففي قلبه مرض ؛ وهذا يشمل كتب الشيخ ربيع وكتب غيره من العلماء . وأما إذا كان التحذير بدليل شرعي صحيح على وفق فهم السلف فحينئذ يكون مقبولاً .

٢ - أن كلام الشيخ زيد فيمن يحذر من كتب الشيخ جملة ، ونحن لم نفعل ذلك بل إن في بعض كتاباتنا استشهاداً بكلامه ونشكر له جهده في الرد على سيد قطب وبيان ضلاله وخطر منهجه وكذلك رده على جماعتي الإخوان والتبليغ ، ولم نخطئه إلا في بعض المسائل .

٣ - أنك أيها المعترض لا تفرق بين التخطئة والطعن ، وشتان بين الأمرين فإن ما قلته هو تخطئة له مبنية على الدليل وهذا لا شيء فيه لأننا نخطئ من هو أكبر قدراً من الشيخ ربيع إذا بان لنا بالدليل خطأه فمن باب أولى أن نخطئ الشيخ ربيعاً إذا بان لنا بالدليل خطؤه .

٤ - أنه لا يقول عاقل فضلاً عن عالم كفضيلة شيخنا زيد المدخلي أن كتب الشيخ ربيع لا يجوز المساس بها ؛ لأنها ليست كالقرآن الكريم ، بل إن صحيح البخاري

الذي تلقته الأمة بالقبول لم يتلقوا كل حرف فيه كالقرآن وانتقدوا عليه بعض الجمل اليسيرة ، فإذا كان هذا الحال مع صحيح البخاري الذي هو أصح كتاب بعد القرآن ؛ أفتقول لنا هذا مع ما دونه من كتب أهل العلم . فإذا كتب أحد المنتسبين للسلف كتاباً فإننا نعرض هذا الكتاب على عقيدة ومنهج السلف فما وافق الحق قبلناه وما لم يوافقه رددناه عليه ولم نقبله والذي يطالع كتب الأئمة والعلماء يقف على كثير من النماذج في هذا الموضوع .

٥- أن من يحذر من كتب الشيخ ربيع إنما هم الحزبيون بسبب انتقاده لسيد قطب وفضح منهج الإخوان والتبيلغ ولا شك أن هؤلاء في قلوبهم مرض حقاً ، وأما السلفيون فإننا لم ننتقده لذلك وذلك لأننا مقرون له انتقاده لهؤلاء لأنهم على الباطل ؛ وإنما انتقدناه في بعض المسائل كقوله في مسألة الإيمان وجئنا بالدليل على خطئه ، فأنى لك يا هذا أن تنتقدنا ونحن المحقون في ذلك وهو المخطئ ! وكان جديراً بك أن تشكرنا على غيرتنا على العقيدة وعدم تعصبنا للأشخاص كما هو شأنكم وديدنكم .

٦- إن كلام الشيخ زيد المدخلي مدح مجمل ، وما جئتك به من بيان خطئه فهو جرح مفسر ، والجرح المفسر مقدم على التعديل المجمل ؛ وذلك لأن المعدِّل لو وقف على ذلك الخطأ لبينه وحذر منه . وقد ذكر الحافظ الذهبي – رحمه الله – في كتابه السير (١١/ ٥٠٤) في ترجمة محمد بن حميد : (قَالَ أَبُو عَلِيٍّ النَّيْسَابُوْرِيُّ: قُلْتُ لابْنِ خُزَيْمَةَ : لَوْ حَدَّثَ الأُسْتَاذُ عَنْ مُحَمَّدِ بنِ حُمَيْدٍ ، فَإِنَّ أَحْمَدَ بنَ حَنْبَلٍ قَدْ أَحسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ . قَالَ : إِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْهُ، وَلَوْ عَرَفَه كَمَا عَرَفْنَاهُ، لَمَا أَثْنَى عَلَيْهِ أَصْلاً.)اهـ ولو كنتم منصفين أيها المعترض والمستدل بكلام الشيخ زيد لمصادمة كلامي ؛ فوجِّه للشيخ زيد سؤالاً صريحاً عن موقفه من الشيخ ربيع فيما كتبه في باب الإيمان أو تكلم به وسجل صوتياً ؟! سله هل قول (الأعمال شرط كمال) قول سلفي أم هو قول المرجئة ؟! وسله : هل توافق على القول بأن مسألة تارك أعمال الجوارح بالكلية مسألة خلافية بين أهل السنة ؟! وسله : هل من قال ذلك

يكون قد أخطأ أم يكون قد أصاب ؟! ومن ثم قل له هذه أقوال فلان أو عــلان . أما أن تذهب إليه وتقول له كلاماً عاماً : إن فلاناً يطعــن في العلمــاء ويتــهمهم بالإرجاء ! فهذا فعل قبيح جداً وقلب للحقائق ، ويدل على هوى كبير وتعــصب شديد عند صاحبه تجاه الشخص المتعصب له .

٧- هب جدلاً أن الشيخ زيداً – حفظه الله – يقصد المعنى السقيم الذي ترمي إليه وحاشاه ؛ فإن الشيخ زيداً ليس معصوماً ، وليس كل كلامه مسلم به لأن العصمة ليست لأحد بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – ونحن وإن كنا نحبه كــثيراً إلا أن الحق أحب إلينا من كل أحد ؛ فالموقف مع كلامه كالموقف مع غيره من أهل العلم يعرض كلامه على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فإن كان صواباً أخذنا به وإن كان خطأ فلا يتابع عليه حينئذ ، فاعتبرني يا هذا أني لا أقبل كلامه ؛ فإنه لا يلزمني أن آخذ بقوله فلست مقلداً له ، بل أنقاد للدليل الصحيح الذي ظهــر لي بفهــم السلف ، وأذكرك أن كثيراً من العلماء غير الشيخ زيد المدخلي كما مر آنفاً قــد انتقد الشيخ ربيعاً ، إذاً فليس هناك ثمة إجماع على عدم انتقاد الشيخ ربيع وكتبــه حتى توجه إلي اللوم والطعن .

٨- إن الشيخ زيداً قد سأله سائل عن أخطاء الشيخ ربيع في الإيمان فطلــب مــن السائل أن يجمعوا الأخطاء ويرسلوا بها إلى الشيخ ربيع ليصححها ولما ذكــر لــه السائل أن بعض الشيوخ قد نصحه قال له الشيخ زيد برئت ذمتهم ، وهذا المقطع قد نشر قديماً على الشبكة وهذا نصه :

(السائل : يا شيخ لماذا لم تردوا حتى الآن على الدكتور ربيع بن هادي المدخلي وهو يقول بالتنازل وبالإرجاء ؟

الشيخ : أيش ؟

السائل : يا شيخ لم تردوا حتى الآن على الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في أخطائــه على التنازل بالأصول والإرجاء بأن الأعمال من المكملات ؟

الشيخ : ابعث إليه .

السائل : نعم ؟

الشيخ : ابعث إليه بالأخطاء واطلب منه أن يصححها ؟

السائل : لقد نصحوه ، لقد نصحه الشيخ عبيد والشيخ صالح سحيمي والشيخ ملفي الصاعدي ولم يرجع ؟

الشيخ : نعم ؟

السائل : لقد نصحه الشيخ عبيد والشيخ صالح سحيمي والشيخ ملفي الصاعدي ولم يتراجع ؟

الشيخ : اكتبوا له بالأخطاء .

السائل : يا شيخ كتبوا له كتبوا له .

الشيخ : من هم ؟

السائل : الشيخ عبيد والشيخ صالح سحيمي والشيخ ملفي الصاعدي .

الشيخ : أهل المدينة .

السائل : أي نعم .

الشيخ : وما تراجع ؟!

السائل : نعم .

الشيخ : هيئة كبار العلماء ينصحونه إن شاء الله .

السائل : عرضنا كلامه للجنة الدائمة ؛ كبار بعض اللجنة كذلك لم يتراجع .

الشيخ : المهم أقول لك جمعتم أخطاء ؟

السائل : نعم جمعنا أخطاءه .

الشيخ : وابعثوا بها إليه لتبرأ الذمة .

السائل : يا شيخ ولقد رد عليه الشيخ فالح والشيخ فوزي أثري كذلك .

الشيخ : خلاص برئت ذمتهم .

السائل : وأنت ما موقفك يا شيخ ؟)اهـــ هنا انقطع التسجيل .

ولا شك أن العاقل إذا نظر إلى هذه الفتوى يعلم يقيناً أن شيخنا زيداً على معرفة بـــأن كلام الشيخ ربيع في المسألة خطأ ، ولو كان يرى غير ذلك لدافع عنه وهو في مـــوطن تهمة والمسلم يذب عن عرض أخيه ، لكن لعل هناك مانعاً منعه من التصريح بتخطئـــة الشيخ ربيع والله أعلم .

إذاً : فكلام شيخنا زيد ليس فيه مصادمة لما ذكرته البتة وإنما التبس الأمر على الناقل بسبب عدم درايته بكلام أهل العلم ومن ثم توجيهه التوجيه الصحيح ، كما أذكر أن بيان الخطأ والشيخ على قيد الحياة لعله يكون سبباً لتراجعه عنه فتقر بـــذلك العـــين ، وليس كما يزعم البعض أن هذا سوء أدب ! ومن ثم لا يرد أحد ويبين هـــذا الخطـــأ للناس ! فهذا كلام فاسد وخيانة للعالم ومن تابعه على خطئه فحينئذ يكون أسوء مـــن سوء الأدب ؛ إذ لابد من بيان الحق والانتصار له لمن قدر على ذلك بالطرق الشرعية الصحيحة والابتعاد عما هو منهي عنه .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الجمعة : ١٨/ ربيع أول / ١٤٣٣هـ